بسم الله الرحمن الرحيم

أسس النظرية النفسية الإسلامية الأولى

للدكتور محمد كمال محمود الشريف

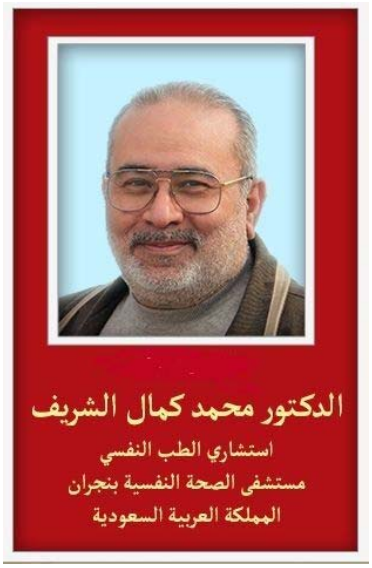

1. تعريف الإنسان
2. الفطرة واللاشعور
3. الدوافع النفسية عند الإنسان
4. قضايا مثيرة للجدل: أ – أنواع القلق النفسي وهل يقلق المؤمن؟

ب _ المس وإخراج الجان من الإنسان.

ج – العين

د – السحر

1. تعريف الإنسان

أ - عند التطوريين داروين وفرويد ومن تبعهما: حيوان تحكمه غرائز مركوزة في اللاشعور لديه تدفعه لإشباعها ، ولا يختلف عن باقي الحيوانات إلا في قدرته على إدراك ذاته ووعي وجوده ، لكن هذا الوعي خاضع للاشعور ويقوم بتبرير رغبات اللاشعور بحيث تبدو أفعال الإنسان نابعة من الوعي والإرادة الحرة ، بينما الحقيقة أن الإنسان تسيره الغرائز كما تسير الحيوان ، لكن الإنسان يعيش وهم الإرادة الحرة والدوافع المتسامية على الغرائز.

ب - عند السلوكيين: الإنسان آلة حية لها احتياجات حيوية تضغط عليها لتحقيقها ، وتبرمجها الأفعال الشرطية الكلاسيكية والفاعلة وتخلق فيها حتى الدوافع النفسية المكتسبة انطلاقا من دوافع بدائية جسدية.

ج - الإنسانيون ومعهم الوجوديون تقدموا في نظرتهم للإنسان فركزوا على الجانب النفسي فيه وسكتوا عن ما هو جسدي واعتبروا الإنسان خالق ذاته ككائن فوق المادة وفوق الغرائز ، وإن كان لا بد له من أن يشبع الحاجات الأساسية الهادفة إلى المحافظة على بقائه كفرد واستمراره كنوع ، لكنه بعد ذلك يسعى لإشباع دوافع راقية تتجاوز جسده إلى الانتماء والحب والإنجاز وتحقيق الذات ، والإنسان عندهم حر حرية حقيقية ، أي باختصار هو حيوان تطور بحيث صار شبه إله.

- كل المدارس المذكورة لا تعترف إلا بالجسد الحي وتعتبر الروح خرافة.
- الأديان كلها أعلت من قدر الروح واعتبرتها هي الإنسان وليس الجسد إلا آلة حية تخدمها لكنها تحاول تسييرها ودفعها إلا تحقيق رغباتها وشهواتها ، لذا يكون هدف الإنسان الراقي هو التحرر من تحكم جسده به من خلال مقاومة الشهوات وإضعاف الجسد بالجوع والحرمان الجنسي ورفض أي شكل من أشكال التنعم والرفاهية والسعي للمكانة الاجتماعية ، وذلك كي تنتصر الروح الخالدة على الجسد الفاني وتحقق شوقها للعودة إلى الروح العظمى التي انبثقت منها أي الخالق.
- هذه الثنائية المبسطة نتج عنها الإيمان بتناسخ الأرواح وانتقال الإنسان من جسد إلى آخر من خلال الموت والولادة ، والإيمان بتحضير أرواح من ماتوا والتحاور معهم عبر جسد مستعار هو جسد الوسيط ، والاعتقاد أن الجني يدخل في الإنسان ويتكلم على لسانه ويتحكم بجسده وتصرفاته انتقاماً منه واعتداءً عليه.
- عند الأديان الإنسان مكون من عنصرين متصارعين عليه أن يبذل كل ما يستطيع ليتغلب أحدهما على الآخر أي روحه على جسده.

- تقدم الطب وعلم النفس والفيزيولوجيا العصبية والدوائيات النفسية وتبين لنا أن كل شيء في الإنسان من مشاعر وأفكار وشهوات وسلوكات من صنع الة حية هي الدماغ ، فأنكرت الروح ، اما من اعترف بها ففسرها على أنها النظام الذي ينبني وفقه الجسد الحي ليصبح كائناً واعياً لوجوده.
- إذاً هما تطرفان: الأول ينكر أي أهمية للجسد ويعتبره شيئاً غير النفس التي هي الروح بمنظورهم ، والثاني ينكر الروح ويعتبر الجسد الحي هو الإنسان ولا شيء معه.
- الروح ثابتة في القرآن والحديث الشريف بنصوص قطعية الثبوت وإن كانت دلالتها غير قطعية ، أي الروح موجودة وتنفخ في كل جنين بعد بلوغه مئة وعشرين يوماً في الرحم.
- ويقول محمد صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في صحيحه: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً. ثُمَّ يَكُونُ فِي ذلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ. ثُمَّ يَكُونُ فِي ذلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ. ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ....)
- يقول تعالى في سورة المؤمنون: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14))
- ربنا يشير إلى نفخ الروح بقوله: ثم أنشأناه خلقاً آخر ، وهو في معرض وصف مراحل تكون جسد بشري حي جديد. فالإنسان بعد نفخ الروح لا هو جسد ولا هو روح بل هو خلق آخر.
- كما أن الماء بعد اتحاد الأكسجين بالهيدروجين خلق آخر ذو خصائص كيميائية وفيزيائية مختلفة تماماً عن مزيج الأكسجين والهيدرجين غير المتحدين الذي يمكن أن يشتعل في أية لحظة.
- النفس في القرآن لها معنيان: الأول هو الكائن كله من رأسه إلى قدمه بكل ما فيه من حياة بدنية وعقلية ، والثاني هو الوعي والشعور عند الإنسان وهو الذي يتوفاه الله في النوم والموت ، أما الروح فتنزع من الجسد مرة واحدة عند الوفاة ولا تنزع كلما نام.
- عندما سئل الرسول عن الروح أمره الله أن يقول: الروح من أمر ربي ، وذكره الله أن القدرة على الفهم والإدراك عند الإنسان محدودة ، أي لن يستطيع أن يفهم أي شيء يخبرنا الله عن الروح. قال تعالى في سورة الإسراء: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)}.
- لذا فإن نسبة الوظائف النفسية والعقلية للروح وحدها ادعاء لعلم بالروح وقدرة على فهم الكثير عنها وهو ادعاء يتعارض مع هذه الآية الكريمة.

- توكذلك من يصف الرغبات والمتع والآلام على أنها روحية وبدنية مخطىء بل هي معنوية وحسية.
- ندرس النفس البشرية ونحن نؤمن بالروح لكن لا نعزو لها شيئاً تماماً كما ندرس الكون والطبيعة ونحن نؤمن أن هنالك ملائكة موكلين بتسييرها ، ندرسها كما لو لم يكن هنالك ملائكة ، بل نبحث عن القوانين الطبيعية التي تسيرها.
- الإيمان بالروح يحمي الإنسان من احتقار نفسه إن نظر إليها على أنها مجرد آلة حية يتم صنع الملايين منها وموت ملايين آخرى كل عام.
- ومما يحمي الإنسان من احتقار نفسه أيضاً علمه أن الله خلقه على صورته (لا على حقيقته فهو ليس كمثله شيء) أي ارتضى لنفسه صورة إنسانية كاملة من كل النواحي يتجلى لنا بها بأوصافها في الدنيا وبرؤيتها في الآخرة.

2. الفطرة في اللاشعور

- قال تعالى في سورة النحل: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)}
- وقال في سورة الأعراف: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) }
- وقال في سورة الأنعام: { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآَيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30)}.
- روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن مَولودٍ إلاّ يُولَدُ على الفِطرَةِ ، فأبَواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنَصِّرانِه أو يُمجِّسانه ، كما تُنْتَجُ البَهيمةُ بَهيمة جمعاءَ ، هل تُحِسُّونَ فيها مِن جَدعاءَ» ؟
- وروى مسلم في صحيحه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث صحابته: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ».
- وروى أحمد في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له. }

- وقال تعالى في سورة الأحزاب: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)}

- **ما علاقة الإيمان بالأمانة ولم لا نذكر واقعة إشهاد الله لنا على أنفسنا أنه ربنا ، وهل يعقل أن يرى أحد النار بعينيه ثم إذا عاد إلى الدنيا عاد إلى الكفر والعصيان ؟**
- تبدأ الحكاية عندما أخبر الله الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة له: قال تعالى في سورة البقرة: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30))
- والخليفة هو الذي تجعله مكانك ليتصرف تماماً كما كنت ستتصرف لو كنت موجوداً.. أي جوهر خلافة الإنسان لله تعالى في أرضه أن يحقق في نفسه صفات الله وأن يتخلق بأخلاقه التي تلخصها أسماؤه الحسنى.. وهذا يقتضي أن يكون الإنسان حراً في كل شيء حتى في أن يؤمن بخالقه أو أن يكفر ثم هو محاسب عما عمل من عمل.
- كيف يمكن للإنسان أن يكفر بعد أن أشهده الله على نفسه أنه هو ربه ، أو بعد أن يرى القيامة ويرى جهنم ؟ لو تذكر الإنسان هذه المواقف لما استطاع أن يكفر ، هل يقدر عقل إنسان مبصر أن ينكر وجود الشمس مثلاً؟ إنه حتى لو أراد ذلك فإن عقله لن يطيعه طالما أنه يراها بعينه.

- لذلك أزاح الله ذكرى موقف الإشهاد إلى اللاشعور وكذلك سيزيح ذكرى مشاهد القيامة لو استجاب لأهل النار وردهم إلى الدنيا ، وعندها يكون الإنسان حراً حتى على المستوى العقلي أن يؤمن أو أن يكفر.

- كذلك أخفى الله نفسه أن تدركه حواسنا في الدنيا وترك لنا الآيات أي العلامات الدالة على وجوده وعظمته توصلنا إلى الإيمان به عن طريق الاستقراء ، أي بطريقة علمية إلى أبعد حد ، لأن العلوم كلها قائمة على الاستقراء حيث تجمع الشواهد والأمثلة وتجري التجارب لتصل إلى قانون طبيعي.

- ومن أجل أن تكون حريتنا في أن نؤمن أو أن نكفر حرية حقيقية جعل الله عقولنا لا تصل إلى اليقين بطريق الاستقراء بل تصل إلى غلبة الظن ، ثم نؤمن بهذا الظن الغالب ونتعامل معه على أنه يقين لا شك فيه.

- العقل أي الجزء الذي نشعر بعمله من أدمغتنا ونسميه الشعور مبرمج على التفكير المنطقي وعلى قانون السببية وعلى محدودية الأبعاد التي يستطيع أن يدركها ، وهو قادر على استناج حقائق يقينية لو أنه انطلق من مقدمات يقينية ، لذا كانت البدهيات التي تقوم عليها الرياضيات التي هى علم استنتاجي بحت ، أما فيما عدا ذلك فإن عقولنا تؤمن بما تدركه حواسنا وبما تصل إليه بطريق الاستقراء.
- الاستقراء يعطينا احتمالات متزايدة لصحة فرضية نفترضها لفهم ما حولنا لكنه لا يوصلنا إلى اليقين ، بل عقولنا تشك حتى في ما تراه وتسمعه هل هو حقيقة أم منام ، ومن أشهر الفلاسفة من شك في كل شيء إلا في أنه يشك (أنا أشك إذا أنا أفكر ، وأنا أفكر إذاً أنا موجود....)، لم يكن مجنوناً لكن ليس هنالك شيء يقيني في الوجود تنطلق منه عقولنا لتستنتج الحقائق الفلسفية إلا إن نحن اعتبرناه يقينياً ، لأن عقولنا الواعية المفكرة مبرمجة بحيث أنها لو رأيت ملايين الأمثلة والشواهد على وجود شيء مثلاً لا تراه يبقى لديها القدرة على تخيل احتمال أن يكون هنالك أمثلة لا تتحقق فيها الظاهرة التي تبحث فيها ، أي هي قائمة على الوصول إلى الاحتمالات التي تبقى احتمالاً بنظر العقل حتى لو بلغت درجة تسعات لا تحصى من الرقم الصفري الذي يليها.
- هنا يأتي دور القلب أي اللاشعور الذي منه تنبع المشاعر والعواطف ، فإن كان الأمر عادياً تقبلنا ما وصل إليه العقل من احتمالية شيء ما على أنه حقيقة مثبتة لا شك فيها ، أما إن كان لديه هوى أو مصلحة أن لا تكون الحقيقة هكذا فإنه يتمسك بذرة الشك التي ما زال عقله المفكر الواعي يتصورها ، فيقوم هذا الإنسان بالإيمان بهذا الاحتمال الذي يتنهى إلى الصفر ويعتبره الحق وينكر ما عداه.
- أنزل الله ملكين يعلمان الناس السحر كي يبقى لدى الإنسان فسحة للإنكار حتى عندما يرى معجزات الرسل ، يقول تعالى في سورة الحجر: (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15))
- كل الآيات في الأنفس والأفاق تدل على الخالق العظيم ، لكن العقل البشري قادر على أن يتخيل أن ذرات المادة المختلطة بشكل عشوائي تفاعلات في لحظة من الزمن البعيد فنشأ أو جزيء عضوع ثم تطور إلى خلية ومن بعدها إلى حيوان أو نبات حتى وصل إلى الإنسان.. إنه المستحيل بعينه لكن الله جعل في عقولنا إمكانية الشك كي لا نضطر للإيمان به اضطراراً بل نؤمن به بحرية تامة ، ففي سورة البقرة يقول تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)..} ويقول في سورة البقرة: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) } ليس كل ما يتصوره الوعي ويتخيله ممكناً ومثال ذلك

تصور العقل للنشوء والارتقاء حتى تكون البشر ، وليس كل ما يعجز العقل عن تصوره هو مستحيل ومثال ذلك وجود لله دون موجد له ، فعقولنا تعمل ببرامج لها حدودها وما زاد عن ذلك ارتبكت فيه وكان Error.

- ما يحويه اللاشعور أمانة لدى الإنسان لأن الأمانة هي ما يودع عندك وتكون قادراً على إنكاره ، وفطرة التوحيد أمانة في جذر قلوب البشر أي في اللاشعور وتبقى قدرتهم على إنكارها تؤكد حريتهم المطلقة في أن يؤمنوا أو أن يكفروا..

لذا كان الإيمان فعلاً إرادياً لا اقتناعاً لا يقدر على رفضه:

- يقول تعالى في سورة النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136))
- وكان الإيمان مرتبطاً بالحب, والرغبة بالانتماء والعزة ،
- يروي ربنا في سورة العنكبوت ما قاله إبراهيم عليه السلام لقومه: (وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (25)).
- وقال تعالى في سورة مريم: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82))،
- وقال تعالى في سورة النمل وهو يحكي لنا ما جرى لبلقيس مع سليمان: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44))،
- وقال عندما تم فتح مكة: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3))،
- ويقول في سورة يونس: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23))،
- وبالمقابل كان الكفر فعلاً إرادياً نابعاً من الكبر على الله أو على رسله أو على المؤمنين وليس مجرد عدم اقتناع لأسباب معرفية ،

- يقول تعالى في سورة الشورى: (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16)).
- ويقول في سورة غافر: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56))،
- ويحكي لنا ربنا عن قوم صالح في سورة الأعراف فيقول: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76)).
- إن دراسة ما توصلت إليه العلوم النفسية حول خداع الذات Self-Deception تساعدنا كثيراً على فهم كيف يتم الإيمان والكفر.
- الإيمان يكون عندما توجد الدوافع النفسية له حتى لو كان موضوع الإيمان سخيفاً جداً بالنسبة لعالم متخصص ، وحتى لو كان احتمال صحة المعتقد لا يزيد عن ذرة يتصورها العقل.
- يقول تعالى في سورة يونس: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99)) وذلك دون إكراه.
- والكفر يكون عندما توجد الدوافع له حتى لو كانت الاحتمالات لصحة ما كفر به تكاد تكون مئة بالمئة.
- يقول الله في سورة الزخرف: (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33))

ربنا لم يلزمنا بالإيمان به لكنه أراد منا أن نلتزم من أنفسنا لنستحق الثواب على إيماننا به.

ينقسم عمل دماغ الإنسان أو قلبه بالمصطلح القرآني إلى قسمين:

1. – الأول عمل آلي لا إرادي نسميه اللاشعور The Unconscious وكأنه عضو محدد المعالم وذلك بسبب شيوع هذا المصطلح في الثقافة النفسية العالمية.
1. – والثاني عمل إرادي مفكر وشعوري وهو مستويان من حيث الشعور بعمله:

أ - المستوى الأول مستوى العمليات العقلية الواعية التي نشعر بها وهي تحدث ، ونسميه تجاوزاً الشعور The Conscious كما لو كان عضوا يمكن تمييزه تشريحياً.

ب - والمستوى الثاني شبه لا شعوري نسميه شبيه اللاشعور The Unconsciousoid وفيه تتم عمليات عقلية هي بالأصل شعورية وإرادية تحولت بكثرة الممارسة إلى عمليات أتوماتيكية لا تشغل أي حيز من وعينا إنما نشعر بنتائجها وكأننا وصلنا إليها دون تفكير.

التفصيل:

1. اللاشعور: وهو جزء لاشعوري مئة بالمئة ولا إرادي وهو آلي انعكاسي موروث وموجود عند الولادة يشمل البرامج العقلية التي تنتج الأفكار والمشاعر والمهارات العملية والأعمال الفنية ، منه تأتي العواطف والشهوات ودوافع السلوك والطاقة المحركة ، وفيه تتم عملية الإشراط الكلاسيكي والإشراط الفعال. وهو الجزء من عقولنا الذي يشبه عقول الحيوانات.

واللاشعور هو الجزء من عقولنا الذي يشبه عقول الحيوانات ، وهو لا يتعلم بالإقناع المنطقي بل بتكرار الخبرة حتى يتكون لها منعكس مكتسب ، ومثالها حالات الإدمان والرهاب ، حيث تبقى الرغبات أو المخاوف رغم القناعة العقلية المناقضة لها.

هذا اللاشعور يلح على الشعور بالشهوات أو العواطف أو المخاوف أو الدوافع النفسية سواء الدوافع الحيوية المشتركة مع الحيوانات أو الدوافع الإنسانية الهادفة إلى تحقيق الخلافة في الأرض التي تجمعها صفات الله وأسماؤه الحسنى ، ومنه يأتي الإعجاب أو النفور ، والغريزة الجنسية.

عند فرويد هذا الجزء حيواني هو الذي يحرك الإنسان ويدفعه إلى العمل من أجل تحقيق غريزة الجنس التي تضمن بقاء النوع وغريزة العدوان التي تقود الكائنات إلى نهايتها المحتومة. أما كارل يونغ فقد أضاف إليه ما تراكم من معانٍ ومشاعر مكتسبة لكنها تورث من جيل إلى آخر ويضاف عليها كل جيل حتى بلغت قدراً عالياً من التركيب أسماه اللاشعور الجمعي Collective Unconscious واعتقد يونغ أن هذا اللاشعور الذي اكتسبته البشرية هو مصدر الأساطير والخرافات.

اللاشعور عند فرويد جزء حيواني موروث وجزء يكتسبه الفرد من خلال كبته للمشاعر والذكريات والأفكار التي يؤلمه الاعتراف به فينكرها ويكبتها ، لكنه لم يقل إن هذا اللاشعور يورث من جيل إلى آخر مثل الجزء الحيواني. أما يونغ فقد آمن بانتقال مكتسبات اللاشعور من جيل إلى آخر وبالتالي تراكمها وتشكيلها للاشعور الجمعي. وسنظل دائماً ننسب الحب إلى قلوبنا مهما تيقنا أن مراكز المشاعر هي في الدماغ.

2. الشعور: إرادي مفكر يحكمه المنطق الإنساني المعروف نشعر بنشاطاته حين نفكر وتعكس عضلات الرأس هذا النشاط لذلك نحس أننا نفكر برؤوسنا.

بخلاف العواطف والمخاوف والشهوات والدوافع النفسية الآتية من اللاشعور حيث تعكسها عضلة القلب لذلك ننسب الحب والكره والخوف والطمأنينة وغيرها إلى القلب ، وسنظل دائماً ننسب الحب لقلوبنا مهما تيقنا أن مراكز المشاعر هي في الدماغ.

3. شبيه اللاشعور The Unconsciousoid: باستمرار يتحول الكثير مما نتعلمه من شعوري إلى شبه لاشعوري أوتوماتيكي سريع في عمله وتلقائي أي دون تفكير ظاهرياً يوفر الشعور ليهتم بالمستجدات والأمور ذات الأهمية العليا. وهو يشمل كل المعارف والمهارات اللاشعورية ظاهرياً لكن يمكن للإنسان أن يستكشفها ويفهمها من خلال العلاج النفسي التحليلي الذي يحاول كشف آليات الدفاع النفسي التي يلجأ إليها الشخص بشكل أوتوماتيكي.

وكذلك تستكشف في العلاج النفسي المعرفي حيث البحث عن الأفكار الأتوماتيكية السلبية التي تسبب القلق أو الكآبة أو غيرهما من الأعراض النفسية.

وهذا الجزء الشبيه باللاشعور جزء إرادي يحمل الإنسان مسؤولية ما يقوم به ، وهو الجزء الذي يقوم بخداع النفس عن طريق آليات الدفاع النفسي المعروفة وغيرها من الآليات التي اكتشفها الباحثون في سيكلوجية خداع النفس ، وفيه تخبأ الذكريات المكبوتة لإبعادها عن بؤرة الوعي لكنها تبقى مؤثرة في المشاعر والأفكار والسلوك.

الإسلام أشار إلى اللاشعور وإلى شبيه اللاشعور في عدة نصوص منها:

- روى أحمد والدارمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه الذي سأله عن البر والاثم: (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ.) وفي رواية ثانية: (يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك .ثلاث مرات .البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك).
- يقول تعالى في سورة طه: وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)
- ويقول في سورة الأنفال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)
- والإسلام دائماً ينسب الوظائف العقلية ومنها الإيمان والكفر إلى القلب ليجعلنا ننتبه إلى دور شبيه اللاشعور The Unconsciousoid لدينا في اتخاذ قرارنا بالإيمان أو الكفر أو الحب والكره ،

- ففي سورة الأنفال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24))
- وفي سورة التغابن: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11)) (سورة التغابن)
- وفي سورة الصف: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) وفي سورة الحج: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)) الإنسان في الإسلام يحمل مسؤولية أعمال قلبه سواء شعر بها أم لم يشعر
- يقول تعالى في سورة البقرة: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10))
- وهذا يؤكد أنها إرادية سواء كانت شعورية أو شبه لا شعورية ، ولا لوم على ما يأتي من اللاشعور اللا إرادي من مشاعر أو رغبات أو شهوات. لكن الله يلومهم إن هم استجابوا للمحرم من هذه العواطف أو الدوافع أو الغرائز ، أي إن الإنسان حر حرية مطلقة على مستوى العقل والقلب وهو سيد نفسه وصاحب القرار ، يقول تعالى في سورة الكهف: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)).

❖ ووسوسة الشيطان وما يعاكسها من وسوسة القرين من الملائكة هي على مستوى اللاشعور وربما على مستوى شبيه اللاشعور ، وهي مسؤولة عن استثارة الدوافع أو العواطف أو المخاوف أو الشهوات ، أما النفس الحرة المريدة فهي التي تختار بين أن تستجيب للإيجابي القادم من اللاشعور أو السلبي الآتي منه.

❖ ما يأتي من اللاشعور يعطي الإنسان الطاقة النفسية أي الدافعية التي تمكنه من تحويل أفكاره أو اختياراته إلى أفعال.

♦ هنا يكون الافتراق بين العلوم النفسية المعاصرة والنظرية النفسية الإسلامية حيث يعتبر الشعور هو النفس المسؤولة عن تصرفات الإنسان. في القرآن الكريم للنفس معنيان بحسب السياق ، الأول النفس تعني الكائن الإنساني بكامله بمكونتيه المادية والروحية ، والثاني العقل الواعي وما يلحق به من العقل الشبيه باللاشعور.

- قال تعالى في أول سورة النساء: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1))
- وقال تعالى في سورة الروم: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21))
- وقال في سورة المائدة: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116))
- وقال أيضاً في سورة الزمر: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42))
- وقال في آل عمران: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55))
- وقال في سورة النحل وهو يحكي لنا عن عناد قوم فرعون رغم الآيات الكثيرة التي جاءتهم: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)).
- الإنسان في الإسلام خليفة عن الله في الأرض لا يخضع للاشعور أو الغرائز إلا في أنها تطلب من النفس أن يشبعها ويلبيها لكن لا تستطيع أن تقسره على ذلك ، ومثالها الأفعال القهرية ، وكذلك قدرة الإنسان على عدم الاستجابة حتى للجوع فيضرب عن الطعام أو يصوم. الإنسان عندنا هو النائب عن الخالق والمخلوق على صورته وله سخر الله ما في السماوات والأرض جميعاً ، وهي مكانة لا تقل سمواً عن مكانة الإنسان عند الإنسانيين الذين ينكرون الخالق ولا يعترفون في الكون بسيد سوى الإنسان.
- الإنسان عندهم ينافس الخالق ويجعل نفسه نداً له ، بينما في الإسلام هو نائب عنه يأتي بعده مباشرة وتربطه به علاقة قائمة على الحب المتبادل والطاعة والتكريم. الإنسانيون أطلقوا طاقات الإنسان الأوربي فتقدم وساد باقي الشعوب ،أما طاقاتنا نحن المسلمين فستنطلق إن فهمنا جيداً المقصود بالخلافة عن الله في الأرض وحريتنا وأنه لم يكرهنا ولا حتى على الاعتراف بوجوده ، وفهمنا أنه لم يحرم علينا من الدوافع إلا الكبر وإرادة الفساد في الأرض تحدياً لله كما فعل إبليس وكما تصور مسرحية سارتر الذباب.
- يقول تعالى في سورة القصص: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83))، والرسول صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه الطبراني: (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلى وُلَدِهِ صِغَاراً

فَهُوَ في سَبيلِ الله ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ في سَبيلِهِ الله ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ في سَبيلِ الله ، وَإِنْ كانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبيلِ الشَّيْطَانِ).

3 . الدوافع عند الإنسان

- اختزل فرويد الدوافع عند الإنسان بدافعي الجنس والعدوان واختزلها السلوكيون في الطعام والشراب والدوافع الفيزيولوجية ثم جاء الإنسانيون وارتقوا بالدوافع الإنسانية حتى كان تحقيق الذات هو رأس هرم الدوافع الإنسانية.
- الإنسانيون اقتربوا كثيرًا من النظرة الإسلامية للدوافع فالإنسان خلق ليكون خليفة عن لله في الأرض يحقق في ذاته صفات لله وهو مفطور على تحقيقها في ذاته لكن هنالك صفتان محرمتان عليه رغم أنه مفطور على الميل لهما وهما العظمة والكبرياء. الإنسان حيوان له احتياجات فيزيولوجية تضغط عليه ليسعى إلى إشباعها والجنس من هذه الدوافع لكنه ما أن يحصل على الحد الأدنى من اشباعها حتى ينتبه إلى الدوافع الإنسانية أي دوافع الاستخلاف في الأرض التي فطره لله عليها.
- الله رحيم وعليم وكريم وخالق ورازق ومنتقم وغفور وعادل و.. والإنسان خلق ليحقق هذه المعاني في نفسه ويتخلق بها ، وهذا معنى الخلافة عن الله في الأرض ، وليس ت مجرد عمار ة الأرض وبنائها فالإنسان مستخلف حتى لو عاش في غابة أو كهف أو صحراء ، الخلافة هي تحقيق المعاني التي تتضمنها أسماء لله الحسنى ، وهي في جوهرها الحياة من أجل المعنى.
- الإنسان يمعنن (يعطي معنى) كل شيء حتى الأكل والشرب والجنس يحملها الإنسان المعانى ولا يقف بها عند الحاجة الفيزيولوجية البحتة ، فحتى أن يتجشأ أحدهم وهو سلوك مقرف للحاضرين صار لدى بعض الشعوب مما يتباهى به الإنسان لأنه دلالة على الشبع والغنى في مجتمع جائع.. والكرش الذي نخجل به في ثقافتنا المعاصرة يباهي به الإنسان في ثقافات لا تنظر إلى سلبياته بل تركز على أنه دلالة على الغنى والوفرة والشبع الزائد ..الجنس يمارسه الحيوان وبنتيجته يتكاثر وكذلك يفعل الإنسان لكن الإنسان شحنه بالمعاني فتجد المسبات في كل اللغات تشير إلى الفعل الجنسي وقد يموت بسببه أناس كثيرون في الحضارات التي تربط شرف العائلة كلها بما يقع على المرأة جنسياً.

- هنالك حاجات أساسية للإنسان وهي الطعام والشراب والمأوى الملخصة في أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ثم بعدها تأتي المعاني (شجرة الخلد وملك لا يبلى) فالخوف من الموت والانعدام ومن الفقر والاحتياج من أهم مصادر القلق عند الإنسان الذي يدفعه إلى الكثير من الأفعال للتغلب عليهما ، والسمعة والفخر قد يموت الإنسان في سبيلهما أو ينفق ماله وجهده وعمره سعياً وراءهما بل حتى الإفساد في الأرض تحدياً للخالق يشكل دافعاً للسلوك الإنساني ، لذا كانت الدار الآخرة للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.
- والإنسان مفطور على حب الجمال لذا يبذل في سبيله الغالي والرخيص حتى كان أعظم ثواب يناله المؤمنون هو النظر إلى وجه لله الكريم وهو الجميل الذي يحب الجمال.
- نلتقي مع الإنسانيين كثيرًا في فهمنا للدوافع عند الإنسان و مكانته في الكون ،لكن نختلف معهم حول طبيعة علاقته بالخالق سبحانه وتعالى. فهم يرون أنفسهم أنداداً لهذا الخالق ، هذا إن هم اعترفوا بوجوده ، ونحن نرى أنفسنا خلفاء له في أرضه.
- المنظور الإسلامي لا يعلي من قيمة المعاني على حساب الحاجات البدنية كما فعل المتصوفة في جميع الأديان عندما ازدروا كل ما نسبوه للجسد وأعلوا كل ما نسبوه للروح ، فدين الفطرة يعترف بكل الدوافع ويحترمها لكن ينظم إشباعها بحيث يكون من الحلال النافع.

4 . قضايا مثيرة للجدل:

أ – أنواع القلق النفسي وهل يقلق المؤمن ؟

ب _ المس وإخراج الجان من الإنسان.

ج – العين

د – السحر

أ – أنواع القلق النفسي وهل يقلق المؤمن ؟

للقلق الإنساني ثلاثة أنواع بحسب مصدره أولها القلق الظرفي المرتبط بالخوف من وقوع ما لا يسر أو فوات ما ترغب النفس فيه ، وثانيها القلق الوجودي من مثل البحث عن معنى لحياة الإنسان وعن الهداية وهو يشعر بحريته ولا يدري ماذا يفعل بها وبالخوف من الموت والانعدام ومن الخوف من الفقر والاحتياج وما شابه من أسباب للقلق ملازمة للوجود الإنسان ، وثالثها القلق المرضي الناتج عن خلل في عمل آلة الفكر والشعور عند الإنسان أي الدماغ وباقي الجسد عموماً.

القلق الظرفي علاجه الإعدا د الجيد والتوكل على لله (إنما عليك الكيس فإن غلبك أمر فقل حسبي لله ونعم الوكيل). روى الترمذي في سننه أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: «قال رَجُلٌ: يَا رَسولَ الله: أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ قَالَ اعقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»

وعلاج القلق الوجودي يكون بالإيمان الحق الخالي من الشرك بالله مع الإيمان باليوم الآخر.

أما القلق المرضي فعلاجه دوائي ومعرفي سلوكي.

والمؤمن يقلق والنفس المؤمنة مطمئنة يوم القامة إذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون:

قال تعالى في سورة البلد: (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23)يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)).

وبذكر الله تطمئن القلوب القلقة لا القلوب المطمئنة ، قال تعالى في سورة الرعد: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)).

إذا الأصل في الدنيا القلق واسمه في القرآن الحَزَن (لا تحزن إن الله معنا) ومن نعم الله على أهل الجنة أنهم لا يقلقون أبداً ، قال تعالى في سورة فاطر: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35)).

ب ـــ المس وإخراج الجان من الإنسان:

الاعتقاد أن الجني يدخل جسم الإنسان ويتكلم على لسانه اعتقاد موروث مما قبل الإسلام تم فهم النصوص في ضوئه مع أن دلالتها عليه ليست قطعية وكان الدليل الذي رسخ هذا الاعتقاد هو ما يجري على ألسنة المرضى أثناء جلسات إخراج الجن منهم ، أي الدليل من الواقع لا من النص وقد يخطىء الناس في تفسير الواقع حتى لو كان واضحاً وضوح الشمس المشرقة.

بالعودة إلى النصوص الصحيحة نتبين أن دلالتها على التلبس غير قطعية على الإطلاق وبالتالي يجب أن لا ندخلها في العقيدة التي يجب أن تبنى على ما هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة وما قاربه.

التلبس وكلام الجني على لسان الإنسي هو شكل من أشكال تعدد الهويات مماثل لما يحدث لدى بعض المرضى تحت الضغط النفسي أو تحت التنويم المغناطيسي ويكون الحوار مع شخصية أو هوية أخرى لنفس الشخص.

العين:

العين حق لكنها لا تؤثر من خلال شعاع يخرج من عين العائن بل هي دعوة صامتة أن يزيل لله نعمة رآها الشخص على غيره وتمناها لنفسه ، لذا عليه أن يقول بارك لله فلا تؤذي نظرته أحد ، وعلى صاحب النعمة أن يقول ما شاء لله لا قوة إلا بالله فلن تضرها عين.

العين حق لكن إصلاح أضرارها يكون بطرق العلاج المعروفة وأقول للمرضى لو أن رجلاً أصابته عين فكسرت ساقه هل يذهب إلى المطوع أم إلى المجبر الذي يجبر كسره ، وأسألهم لو أن عندك سيارة جديدة جميلة وأصابتها عين فاندعمت أين تأخذها؟ وكذلك لو تسببت العين بالقلق النفسي أو الا كتئاب أو غير ذلك فتعالج كما تعالج هذه الأمراض عادة بغض النظر عن دور العين فيها.

السحر:

أما السحر فإنه القدرة على خلق صورة ووهم لا يطابق الحقيقة ، أي قدرة على التأثير في إدراكات الناس للواقع دون القدرة على تغيير هذا الواقع (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)) (سورة الأعراف).

والسحر يضر ولا ينفع (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)).

وأكثر من يدعون القدرة عليه دجالون والحقيقي منه قليل جداً ولا تكشف حتى الكاميرا زيفه ، والحكمة منه ضمان حرية الإيمان والكفر حتى في وجود المعجزات التي تخرج عن القوانين الطبيعية المعروفة..

وقياساً على العين لو تسبب السحر بأي مرض نفسي للإنسان فعلاجه طبي ونفسي.

****